مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا

العدد الرابع والعشرون

1375 من وفاة الرّسول ﷺ الموافق لعام 2007 مسيحي

تصدر عن
كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

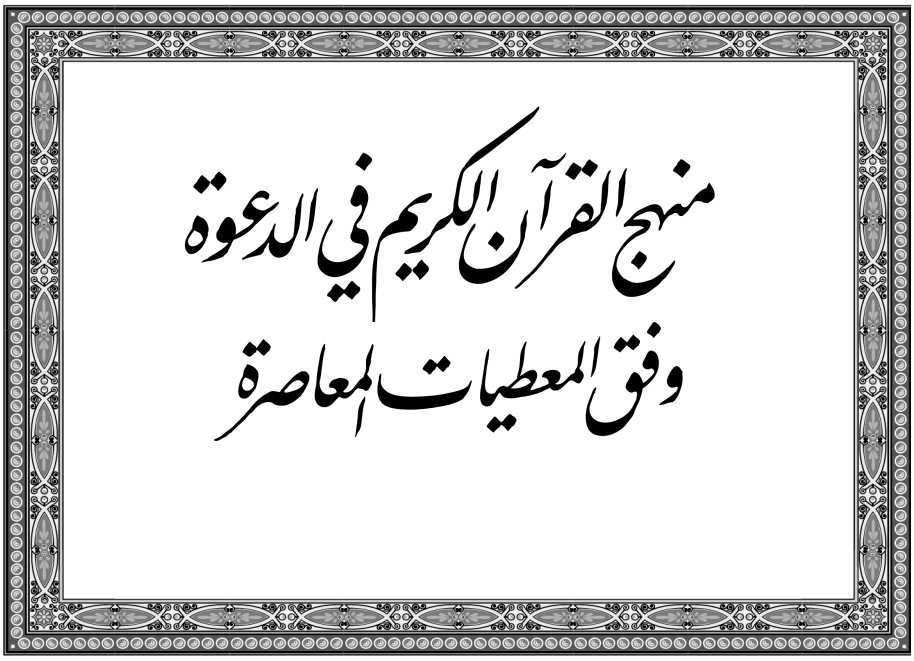

منهج القرآن الكريم في الدعوة وفق المعطيات المعاصرة

أ. د. أحمد سالم الدّيب
كليّة الدّعوة الإسلاميّة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته وسار على سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصب ميزان الحساب، وجعلت الجنة والنار.

و«شهادة أن لا إله الله وحده لا شريك له حق الله تعالى على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح الجنة، وعنها يسأل الأولون والآخرون، ولن تزول قدما العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة حتى يسأل عن أمرين ـ الأمر الأول: ماذا كنتم تعبدون، والأمر الثاني: بما أجبتم المرسلين.

وجواب الأمر الأول ـ إنما يكون بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقراراً وعملاً. وجواب الأمر الثاني ـ إنما يكون بتحقيق «أن محمداً رسول الله» معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة.

ولتحقيق هذه جميعاً، أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، رسولاً إلى خلقه مبلغاً عنه بشيراً ونذيراً، وأرسله بالدين القويم والمنهج المستقيم، فافترض طاعته على العباد وجعله حجة عليهم، ولما كان من سنته تعالى أن يبعث رسولاً من عنده متى وصل الانحطاط والتردي في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق لدى البشر إلى غاية لا يرتجى معها إصلاح لكثرة الفساد وغلبته إلا على يد رسول يبلغ عن ربه، لإنقاذ البشرية مما هي فيه من الضلال والفساد رحمة بعباده ورأفة بخلقه، وقد أبان القرآن الكريم عن هذا الفساد الشامل في العقائد والعبادات والمعاملات، قبل إرسال محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]، ونهاهم عن فساد العقائد الذي كانوا عليه لعبادتهم لغير الله تعالى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

(1) سورة الروم، الآية: 41.
(2) سورة فصلت، الآية: 37.
(3) سورة التوبة، الآية: 31.

وقال تعالى مبيناً الغاية من إرسال محمد ﷺ إلى العالمين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[4]، وقال عز من قائل أيضاً: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[5].

وقد كان محمد ﷺ دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6]. كما كان ﷺ باشرة عيسى بن مريم عليه السلام، حيث قال: مخاطباً بني إسرائيل ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[7].

وهكذا بعث الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ بدعوة إصلاحية ذات منهج قويم يدعو الناس إلى الهدى ودين الحق ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

أسس المنهج القرآني لتبليغ الدعوة:

1 ـ التعريف بحقيقة الإنسان:

ولما كان الإنسان هو المستهدف بهذه الدعوة لأجل إصلاح عقيدته وعبادته ونظم حياته، فإن ذلك الإنسان أمر جوهري في الدعوة وذلك من خلال ما ورد في نشأته ومراحل تكوينه، وعناية القدرة الإلهية به، والتعريف به تعريفاً علمياً إيمانياً يبعث المتلقي على القبول والرضا والتسليم، والتصديق والانقياد والطاعة المطلقة لله تعالى، الذي أوجده من العدم وفي أحسن تقويم، والآيات

(4) سورة الصف، الآية: 9.
(5) سورة آل عمران، الآية: 164.
(6) سورة البقرة، الآية: 129.
(7) سورة الصف، الآية: 6.

التي تحدثت في خصوصيات قضية خلق الإنسان كثيرة قد أحاطت بهذه القضية المعجزة للتعريف بكيفيات مراحلها المختلفة، والكشف عما فيها من غموض وأسرار، يقف علم البشر وإدراكهم دون الإحاطة بها، ومعرفة دقائقها وتركيبها معرفة حقيقية، ذلك لأن الإنسان من صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، وعليه فقد عالج القرآن الكريم هذه القضية الكبرى عبر منهج قويم مبسط جدير بالنظر والدراسة وذلك من خلال آياته الكريمة في سياقاتها البيانية المفهمة لتعريفه بحقيقة وجوده على هذه الأرض والغاية من ذلك الوجود، ضمن الوحدة الإنسانية المتنامية، لتذكرهم بالخالق الواحد والأب الواحد، والأسرة الواحدة، وتثير انتباههم إلى تلك الوشائج والصلات المتوالية، والتي تجمع بينهم بقصد نفي الفوارق الشكلية في اللون واللسان والتعصب للجنس، والتفاضل بالأحساب والأنساب وسواها من الأمور العارضة بين بني الإنسان الواحد، يقول الله تعالى مشيراً إلى ما تقدم عرضه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[8]. فالنص القرآني هنا يتناول قضية إنسانية خطيرة، وهي قضية الصراع المدمر بين الإنسان وأخيه الإنسان، لاسيما صراع العنف في هذا العصر، حيث ترد هذه الآية في مفتتح هذه السورة الكريمة الناس إلى رب واحد كما تردهم إلى أصل واحد وأسرة واحدة وتجعل وحدة الإنسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الأسرة وتستجيش في النفس تقوى الرب، ورعاية الرحم لتقيم على هذا الأصل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم في الأسرة الواحدة، ثم في الإنسانية الواحدة، وترد إليه أسرار التنظيمات والتشريعات، ولو تذكر الناس هذه الحقيقة لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة التي نشأت في حياتهم، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة ومزقت وشائج الرحم الواحدة وكلها ملابسات طارئة ما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم

(8) سورة النساء، الآية: 1.

وحقها في الرعاية وصلة النفس وحقها في المودة وصلة الربوبية وحقها في التقوى. وليست هذه الآية وحدها التي تشكل منهج القرآن في تقرير مثل هذه الحقيقة الكبرة لأصل البشرية، وإنما هناك آيات أخرى ترمي إلى الهدف نفسه لتحقيقه وتقريره في معتقد أهل كل عصر لحملهم على القيام بمقتضياته من التواصل والتعاون والتراحم، بدل التقاطع والعنف والتعصب بين الأجناس من جانب، وبين الأديان من جانب آخر، وهي السمة التي تحكم هذا العصر، على الرغم من التقدم العلمي والحضاري، فهناك في الواقع تأخر فظيع في الجوانب الإنسانية والدينية والأخلاقية وهي ما جاءت الآيات لتذكرنا بها، فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[9]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[10] وقال سبحانه في سورة الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[11]، وقال جل من قائل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[12].

فهذه الآيات وما شابهها من آيات الخلق والنشأة فإن بعضها وإن كان يُذكِّر بمصدر الخلق والدعوة إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فإنها تتدرج بالعقل الإنساني عبر منهج تطوره وتنقلاته بين مراحل التكوين الجسمي، إلى أن يصير خلقاً آخر مفارقاً لتلك الذرات الثابتة، وهذا هو الأسلوب الأمثل للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى الأخوَّة فيه، وهو التعريف بالحقائق والعمل على الإقرار

(9) سورة الأنعام، الآية: 98.
(10) سورة الأعراف، الآية: 188.
(11) سورة الروم، الآية: 20.
(12) سورة السجدة، الآيات: 7 ـ 9.

بوجوبها للحق جل وعلا، كما يتجلى ذلك عند التدبر في هذه الآية، يقول الحق تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾(13).

فالآية في مطلعها تقرر وجود حياة أخرى، يعاد إليها الناس للحساب والمقاضاة ثم الجزاء، كما تربط بين النشأة والبعث، وهما بالنسبة للقدرة الإلهية واحد غير أنها في هذا التقرير للحقيقة المادية للإنسان وارتباطها بتلك الذرات الترابية والتناسب بينها، فإنها تذكر أيضاً بذلك السر الإلهي، ألا وهي الروح، التي هي الحياة حين يتكامل الخلق «ثم نخرجكم طفلاً» وتحل فيه تلك الروح بأمر ربها وبذلك يصبح خلقاً آخر فعلاً ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، وإذا أخبر القرآن الإنسان بهذا السر العظيم وبقيمته بالنسبة للإنسان نفسه، ثم عرف أنه هبة من الله تعالى، وأنه يجب أن يصونه ويحافظ عليه، وذلك لأنه به إنسان حي مكرم، وبدونه لا يكون شيئاً مذكوراً في عالم الأحياء، إذا أدرك الإنسان ذلك بوعي عرف حقيقة مجيئه إلى الدنيا، ولماذا خلق فيها، وبذلك قد أدرك رسالته في الوجود، وبتلك الصورة البديعة يكون المنهج القرآني قد تدرج بالعقل الإنساني بين تلك الحقائق، ليصل به إلى معرفة «نفسه» ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، ولينبهه إلى ما عليه من الحقوق لله تعالى موجد الوجود، والذي كان الإنسان نفسه أحد متعلقات تلك القدرة الإلهية وجوداً وعدماً وبعثاً من غير أن تكون له إدارة في شيء منها.

وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة ونواميس الحياة والبعث ونواميس الحساب والجزاء، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر الذي ليس في وجوده جدال.

---

(13) سورة الحج، الآية: 5.

ولهذا يجب أن يعترف أهل الاختصاص بسبق القرآن إلى الكشف عن هذه الأسرار قبل أي كشف علمي إنساني، وأن الإنسان قد عرف حقيقته أول ما عرفها عن طريق القرآن الكريم.

ولما كان الأمر على ما بينته هذه الآيات، أفلا يجب على الطب الإنساني وفي هذا العصر «المتقدم» على وجه الخصوص، أن يتجه بالإنسان إلى معرفة خالقه، معرفة حقة ليطمئن على حياته، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، حيث اتخذ من جسم هذا الإنسان معملاً أقام عليه دراسات وتجارب وبحوثاً عديدة، ومتنوعة ودقيقة في الوقت نفسه، قد وصل فيها إلى معرفة ما ظهر له من التراكيب والأجزاء، وأوعية كل جزء فيه، وكذلك الخلايا وطبيعة وظيفتها، ثم سجل كل ذلك وحسبه وعدده وصوره، وقدمه إلى أهل العصر تقديماً علمياً حضارياً مادياً بحتاً، بعيداً عن تذكير العقل والقلب في الإنسان، بمن أبدع «لا عن مثال سبق» هذا الجسم وأنشأه، وعدله وأحسن تقويمه، فجسم كل فرد من أفراد الإنسان، هو عالم متكامل حي، يعمل كل ما فيه في خصوص وظيفته، من غير توقف ليل نهار، قد صنعه البارئ سبحانه وتعالى وحده وزينه بالعقل، وكمله بالحواس والمدركات، وهداه النجدين ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[14] وبهذه الموازنة بين منهج القرآن في تعريف الإنسان بحقيقة أمره، وبين التعريف به عبر المنهج العلمي البحت، يدرك المسلم أن الأول إنما هو منهج هداية إلى الله تعالى، ودلالة على عظيم صنعه وجميل فضله، على هذا الكائن «الإنسان» لكي يصلح من شأنه، ويتجه الاتجاه الصحيح في حياته نحو خالقه، كما يدرك أن الثاني قد جُرد من هذه الصفات وتلك القيم الحياتية، وأبعد عن مجال الهداية الصحيحة بما صبغ به من الماديات الصرفة، والشكليات المجردة، والقوانين العلمية الصارفة عن الهداية والاعتبار.

(14) سورة البلد، الآيات: 8 ـ 10.

وعلى هذا الأساس فليقرأ المسلم أيضاً الآيات التالية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[15]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[16]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[17]، وليتأمل أيضاً قول البارئ سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[18] إنه لخطاب كريم يهز كل ذرة في جسم الإنسان، عندما تتنبه فيه إنسانيته التي خوطب بها من لدن خالقه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ولا بد أن يكون هناك أمر خطير، يريد الحق جل جلاله أن يسأله عنه ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، ثم يذكر بكريم فضله، وجليل نعمته، ليعلم أنه هو الذي خلقه ورباه وسواه وعدله، فهذا الاستواء وذلك الاعتدال لكيان الإنسان الهائل العجيب، الذي يذكر به القرآن الإنسان نفسه، والذي قد اكتشف الطب الحديث بعضاً من تلك العجائب المذهلة، مثل الأجهزة العامة للتكوين الجسدي، كالجهاز العظمي والجهاز العضلي، والهضمي والدموي، والتنفسي والتناسلي وأجهزة الحواس كالسمع والبصر، وغيرهن من أجهزة الجسم المعروفة فإن كلاً منها يستوقف العقل، ويُحير الفكر، لأنه صنعٌ لا يدانيه أضخم الصناعات البشرية قديمة كانت أو حديثة التي يقف أمامها الإنسان عادة مذهولاً حائراً، ومع ذلك لم يقف يوماً ذلك الموقف المذهل أمام نفسه، والله تعالى يقول: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ولما تعرضت بعض كتب العلم لوصف كمال التكوين الجسدي في الإنسان جاءت بما أشارت إليه الآية الكريمة في إجمال بليغ، من ذلك ما جاء في مجلة العلوم الإنجليزية «إن جزءاً من أذن الإنسان» الأذن الوسطى «هو سلسلة من نحو

(15) سورة التين، الآية: 4.
(16) سورة السجدة، الآية: 9.
(17) سورة المؤمنين، الآية: 14.
(18) سورة الانفطار، الآية: 6 ـ 8.

أربعة آلاف حنية دقيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ في الحجم والشكل. . .» وتقول المجلة نفسها عن الإبصار في العين «ومركز حاسة الإبصار في العين التي تحتوي على مائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء، وهي أطراف الأعصاب ويقوم بحمايتها الجفن. . .» وبنفس الدقة والإتقان تتكون الأجهزة كلها وباقي الحواس طبعاً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فهذه الاكتشافات العلمية الهائلة لما أودعه الله سبحانه وتعالى في جسم الإنسان كان من شأنها أن تقود العقل إلى راسخ الإيمان بالصانع القادر الحكيم وإلى الإعجاب والخضوع والانقياد والطاعة له سبحانه، وليس إلى الإعجاب بالعلم وتطوره والاعتماد عليه والثقة المطلقة في ما يتوصل إليه من النتائج المذهلة، كونية كانت أو إنسانية والتسليم بها على أنها حقيقة علمية، قد أوجدها العلم بمقاييسه وتجاربه، بعيداً ذلك الحكم والتصوير لقدرة العلم عن إخضاعه وربطه بالموجد الحقيقي سبحانه وتعالى للعقل، «المكتشف فقط» فالله الصانع والعلم العقلاني مكتشف فقط. وعليه؛ فإن الإنسان في ثقته بالعلم والعقل معاً، قد صار يعتقد في هذا العصر بالذات أن العقل والعلم هما المحركان لما في هذا العالم، والمتحكمان في تسيير شؤونه، وفي الوقت نفسه قد عمي ذلك العقل العلمي عن التفكير في أن العلم يجب أن يكون وسيلة مساعدة للإنسان على أداء رسالته في الحياة وذلك عندما جعل العلم وسيلة إلى التدمير للإنسان وللحياة كما نشاهده في التسابق على تصنيع وتطوير أسلحة الدمار الشامل في عصر الحضارة والتقدم العلمي، ومن هنا فقد أخطأ العلم وأخطأ العقل عندما لم يكونا مصحوبين بالإيمان بما جاءت به الشرائع السماوية، وقد نبه القرآن إلى هذا الخطأ، في توجيه العلم إلى الشر فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[19] تلك مقتضيات العلم المجرد من الإيمان، ومعطيات العصر التي فتن بها الإنسان

(19) سورة يونس، الآية: 24.

فدعته إلى التمرد والطغيان على كل شيء حتى على نفسه وعقيدته، فأعلن الحرب على من حوله بدل السلام، ونشر الدمار بدل العمار، والجوع والتشرد بدل الأمن وتوفير الرزق، والسر في ذلك أن من يمتلك مقاليد العلم غير مؤمن بشرائع السماء وفي هذا كل البلاء.

2 ـ رسالة الإنسان في الحياة:

وإذا كان الإنسان على ذلك القدر من الكمال في تكوينه الجسدي، وتكوينه العقلي، وتكوينه الروحي، كما يؤخذ من المنهج التحقيقي، الذي جاء عليه السياق لمعنى تلك الآيات السالفة الذكر، فإن تلك العناية من الرب سبحانه وتعالى، وذلك الإعداد الهائل له أيضاً يوحيان بأن هناك مسؤولية خطيرة وصعبة، ستلقى على عاتق هذا الإنسان دون غيره، من قبل الله سبحانه وتعالى، ألا وهي أمانة الخلافة في الأرض، ومسؤولية السيادة على ما فيها من الموجودات كما يفيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[20]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾[21]، وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[22] وكل ذلك من قبيل التكليف والتشريف للإنسان، وذلك برفع منزلته وتقريبه من خالقه جل جلاله، وتمكينه وإقداره على تسلم إدارة شؤون ما تحت يده من أمور الحياة ومتطلباتها، نيابة عن ربه تعالى، نيابة رعاية وأداء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾[23]، ومصداقاً لقوله تعالى كذلك: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[24]،

---

(20) سورة الأحزاب، الآية: 72.
(21) سورة البقرة، الآية: 30.
(22) سورة المزمل، الآية: 5.
(23) سورة النساء، الآية: 58.
(24) سورة الإسراء، الآية: 70.

والواقع أن هذا التكريم للإنسان السيد، يتجلى في أنه قد وهبه الله كل ما يحتاج إليه في هذه الحياة من القوى العقلية، والنفسية، والجسدية، ومن العوامل الطبيعية والكونية، مسخرة مذللة، ليقيم عليها حياته، وليزاول من خلالها مسؤوليته، مطمئناً آمناً عزيزاً غنياً بها عمن سواه من بني جنسه محتاجاً إليها من عند واهبها سبحانه وتعالى، ولبيان ذلك وتحققه نجد آيات النعم، والأرزاق، والأعمار والآجال المقدرة، تزود الإنسان بمعلومات عن كونها نعمة مهداة، كما تذكره بمصدرها الذي تفيض عنه وهو الله تعالى، عبر منهج بياني واضح، كما في إخباره بأنه سبحانه وتعالى قد اختار له الإسلام ديناً، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[25] والدين من أجلّ النعم على هذا الإنسان إذ من مقاصده دفع الحرج عن العباد، والتطهير من العيوب، وكذلك الإشعار بالشكر لله سبحانه وتعالى وإعلان الطاعة والانقياد له، جلت حكمته قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[26] ومن آيات النعم كذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾[27].

ومن الآيات التي تحدثت عن رزق الإنسان على أنه من ضروريات الحياة وأنه هبة من الله تعالى قد تكفل بها لخلقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[28]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[29]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[30] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

(25) سورة المائدة، الآية: 4.
(26) سورة المائدة، الآية: 7.
(27) سورة لقمان، الآية: 20.
(28) سورة هود، الآية: 6.
(29) سورة الرعد، الآية: 28.
(30) سورة طه، الآية: 132.

ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[31] إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن رزق الإنسان، وكيفية طلبه، وتلقيه عن رب العزة، الذي يرزق من يشاء بغير حساب، عبر منهج ميسر واضح، ومذكِّر هاد إلى أصل الرزق ومصدره للقيام بحق الشكر لله تعالى، ومما ترشد إليه تلك الآيات فضلاً عما سبق أنها تربط بين المعطي جل وعلا، والآخذ، أو بين الرازق والمرزوق بصلة الرحمة والولاية على عبده، والوفاء له بحقه الذي وعده به كما تشعر المُنْعم عليه بمدى احتياجه إلى ربه الذي يمن عليه بكل خير، وبأن يقابل الإحسان بالإحسان قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[32]، وكل ذلك في أسلوب من أساليب القرآن في التربية وحسن التلقي، والتعويد على أدب المعاملة، وحسن التقاضي، فإن (الدين المعاملة).

لقد تبين لنا من خلال المعطيات الإلهية للإنسان ذلك المنهج القرآني في أسلوب العرض وكيفية التصوير لتلك المعطيات الضخمة التي لا تحصى كثرة، كما تبين لنا كيفية خطاب المولى للإنسان في العدوة، فهو خطاب تشريع لا خطاب تقريع، وخطاب تبشير لا تنفير، كما هو خطاب تيسير لا تعسير، وخطاب تأنيس لا تيئيس، وليتأمل العبد المسلم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ إلى غيرها من الآيات، التي يعرض فيها القرآن على العباد دعوة الله لهم إليه، وفضله عليهم، ورحمته بهم، وعفوه عنهم، وقبول توبة التائب منهم، فهو الذي يطعمهم من جوع، ويأمنهم من خوف وهم يعصونه، ويوجدهم وهم ينكرونه، فسبحانه من وسعت رحمته كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء.

---

(31) سورة الذاريات، الآية: 58.

(32) سورة الرحمن، الآية: 60.

ذلكم هو منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الإسلام، الدين العالمي الحق عند الله تعالى وعند العقلاء من عباده، الذي يجب الرد به على أولئك الذين يروجون بالدعاية عبر برامج علمية موجهة، لإفهام الناس من غير أهل الإسلام، وحملهم على الاعتقاد بأن مصدر رزقهم، وسبب بقائهم، إنما هو مرهون في قبضة الأقوياء والأغنياء، وعليه فليتوجهوا إليهم بالولاء والطاعة والخنوع، فالنظريات العلمية الاقتصادية الحديثة، هي من معطيات العصر، والتي أريد لها أن تحل محل شرع الله الخالق، قد جعلت الربا الذي أجمعت كل الشرائع السماوية على تحريمه ومنعه لما فيه من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل نظرية اقتصادية أساسية للمعاملات وبجميع أشكالها، وظروفها، وأجناسها، وفرضتها على الناس وربطت بها قوانين المؤسسات المصرفية والاجتماعية وغيرها في جميع أنحاء العالم، حتى الإسلامي منه، وبهذه الوسيلة الذكية أصبحت مصدراً متحكماً في أرزاق الناس وحقوقهم، ووضعت بينهم فوارق اجتماعية، وإنسانية، ودينية، فازداد الغني غنى والفقير فقراً، والقوي قوة والضعيف ضعفاً، كما استُغلت تلك النظريات «اليهودية» أبشع استغلال، عندما استخدمت في فرض الهيمنة السياسية، والتحكم في مصير الشعوب، وباعتبارها أقوى سلاح للضغط والتهديد والحروب ضد كل من لا يدين بالولاء والطاعة لدول تلك المؤسسات، ويصرف وجهته عن معطيات دينه وعقيدته،ويدخل تحت مظلة نظريات الأمن والسلام المزعومين، ولعل ما تمارسه اليوم أمريكا والغرب، والدولة اليهودية، في طرحها لنظرية «العولمة الاقتصادية» لكي تهيمن على اقتصاد العالم كله، وتتحكم في أرزاق الناس، ووفقاً لكل هذه المعطيات المعاصرة، فإن المجتمع الإنساني أصبح يعاني من الفوضى والاضطراب، والصراعات الدينية والعرقية والسياسية وغيرها، الأمر الذي أفقده كل أمل في حياة الأمن والكرامة التي وفرتها له شرائع الله سبحانه وتعالى، والتي عمل الإسلام من خلال دعوته على توطيد تلك الحياة الكريمة، وحفظها عن طريق ما غرسه في قلوب الناس من عقيدة وضمير ومساواة.

وعليه فإن مقتضى الدعوة إلى الله تعالى، وإلى تعاليم دينه، أن تعمل جادة على تقوية الصلة بين الإنسان وخالقه، الذي أعطاه كل أسباب الأمن والسعادة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[33]، تفضلاً منه سبحانه وتعالى من غير أن يطالبه بمقابل، وذلك كما يؤخذ من الآيات التالية، التي تعمل على دعم تلك الصلة، ورد الثقة والطمأنينة إلى الإنسان في ما عند الله تعالى مما وعده به، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝56 مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝57 إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[34]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾[35]. إذاً فلا بد للإنسان من أن يذعن لخالقه، ومصدر حياته ورزقه، وأن يتقبل كل ما يفرضه عليه من الحقوق والواجبات، والعمل بها استجابة وطاعة لدعوته إليه سبحانه وتعالى.

3 ـ وحدة الخلق والشرع:

ومن هذا المنطق الإيمان العملي يبرز عمل الداعية في عقد الصلة بين الخلق وإنزال القرآن، على أنهما إلهيا المصدر، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾، فإن الذي خلق الإنسان هو الذي أنزل الكتاب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[36]، وليس هناك من شك في أنه وحده سبحانه، هو الذي أنزل التوراة والإنجيل من قبل، كما أخبر بذلك في قوله سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۖ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝3 مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِۖ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾[37]، وقال تعالى: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ

(33) سورة النحل، الآية: 112.
(34) سورة الذاريات، الآية: 56.
(35) سورة النحل، الآية: 53.
(36) سورة آل عمران، الآيتان: 6 و7.
(37) سورة آل عمران، الآيتان: 3 و4.

حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾[38]، وقال في شأن القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[39]، وقال في خصوص حفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[40] إلى غير ذلك من الآيات التي تقرر وحدة المصدر لكل من الخلق والشرع، وعلى هذا الأساس تقرر أن القرآن من عند الله الخالق، وأنه مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية، التي جاءت بها الرسل عن الله تعالى، على أنه من لدن الخالق كذلك من غير أدنى شك، فوجب الإيمان بوحدة الشرع على الناس جميعاً عملاً بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾[41]، فأصبح الإيمان بهم جميعاً من غير تفريق أمراً واجباً وديناً متبعاً، يمثل وحدة العقيدة، التي هي الأساس لكل ما أنبى عليه من أعمال الشرع وعباداته ومعاملاته وأصبح من الإيمان كذلك أن الشرع الإلهي هو الحق وذلك لأن الله تعالى أعلم بعباده وبما يحتاجون إليه من الشرع الذي يصلحهم، ويصلح لهم حياتهم الدنيا، إذ يعرِّفهم بما لهم وما عليهم وهذا عين الحق والعدل أن يكون الخالق جل جلاله هو الشارع، وليس من حق غيره من الناس أن يضع شرعاً لهم، ويحملهم على العمل بمقتضاه، ويؤخذ مما سبق أن أصول الديانات واحدة ومقاصدها مشتركة ومتفقة إذ تلتقي في إقامة الدين وعدم التفرق فيه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[42]. فبعث إليهم رسلاً منهم مبشرين ومنذرين، حتى لا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وأخبرنا بذلك كله في وحيه، كما أخبرنا بأن الرسل عليهم السلام قد بلغوا ما أنزل إليهم

(38) سورة التوبة، الآية: 111.
(39) سورة النمل، الآية: 6.
(40) سورة الحجر، الآية: 9.
(41) سورة البقرة، الآية: 285.
(42) سورة الشورى، الآية: 13.

بكل صدق وأمانة، فقال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾[43].

ولقد أخبرنا القرآن الكريم بذلك، كما أخبرنا بنزاهة وصدق أولئك الرسل، وبأمانتهم، وبأنهم قد بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم، لأنه سبحانه وتعالى قد اصطفاهم وصنعهم، على عينه، إذ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾[44]، وقال مخاطباً رسوله محمداً ﷺ بأمر التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾[45] وجاء على لسان الرسول قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[46] أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر ومن سيوجد من بعد ذلك إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الناس جميعاً. يوم نزوله وما بعد ذلك، ويؤيد هذا العموم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[47]، وقوله جلت حكمته: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[48]، وقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[49] ويؤخذ من هذا أن رسالة محمد ﷺ عامة إلى جميع الأجناس والألوان وهو أمر عظيم وخطير،

(43) سورة النساء، الآيات: 163 ـ 165.
(44) سورة الجن، الآيات: 26 ـ 28.
(45) سورة المائدة، الآية: 67.
(46) سورة الأنعام، الآية: 19.
(47) سورة سبأ، الآية: 27.
(48) سورة الأعراف، الآية: 158.
(49) سورة التكوير، الآية: 28.

ومسؤولية ضخمة، وأمانة ثقيلة كما صورها رب العزة لرسوله ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[50] فما هذا الثقل إلا القرآن وما يحمله من التكاليف، والعقائد، والشرائع، والأوامر والنواهي، وأعباء التبليغ، والدعوة إليه، والعمل به، وما يتطلبه من الجهود الجماعية والعلمية والمالية وسوى ذلك وذلك كله يحتاج إلى إعداد وأعداد عدة من القادرين من المسلمين، لاسيما الناطقون بالضاد منهم وأعني (العرب)، لأنهم أول من نزل القرآن عليهم، وفيهم، وبلسانهم، وعلى أرضهم، كما سجل ذلك كله القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾[51].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[52]، وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾[53] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[54]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[55]، ولأنه نزل بلسانهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[56]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[57]، وقال أيضاً: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[58]، كما أنهم أول من نهض بأعباء التبليغ، قال تعالى يخاطب رسوله بذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[59]، وقال ﷺ لأصحابه: «بلغوا عني ولو آية» وقال في

(50) سورة المزمل، الآية: 5.
(51) سورة البقرة، الآية: 129.
(52) سورة الشعراء، الآية: 214.
(53) سورة الزخرف، الآية: 44.
(54) سورة آل عمران، الآية: 96.
(55) سورة آل عمران، الآية: 97.
(56) سورة إبراهيم، الآية: 4.
(57) سورة الشورى، الآية: 7.
(58) سورة الزمر، الآية: 28.
(59) سورة المائدة، الآية: 67.

حجة الوداع: «رب مبلَّغ أوعى من سامع» وبناء على ما تقدم عرضه من الآيات فإن المرجعية للكتب السماوية واحدة، فمصدر التشريع فيها كلها هو الله تعالى، كما أنه هو الخالق أيضاً لهذا الكون بما فيه الإنسان، الذي خلقت له الدنيا ليكون خليفة فيها، الأمر الذي يؤكد وحدة الشرائع في أصول العقيدة، وفي ما يترتب عليها من أحكام وتشريعات ذات علاقة بالأصول، ولهذا أمرنا بالإيمان بها على أنها من عند الله تعالى مع الأخذ في اعتبارنا عامل التطور الزمني والاجتماعي، إلى جانب تطور العقل والفكر في معالجة قضايا ما يستجد في حياة الناس في كل عصر ومصر، فكانت فروع الأحكام المنبثقة عن أصول العقيدة هي التي تتطور وتختلف مواكبة لتطور العقل والعصر، وبذلك بقيت الأصول ثابتة، والفروع متغيرة بتغير الأسباب وكل ذلك دليل على تكامل الرسالات وتآخيها، وشدة تعاونها على خدمة الإنسان دنيا وديناً وآخرة ووصله بخالقه، وهذا يعني صدق القرآن الكريم وصدق الرسول ﷺ وصلاحية تشريعات القرآن، وفق متطلبات الحياة المعاصرة وإصلاحها، إذ لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأولها إنما صلح بالإسلام وشرائعه، وذلك لأن الله تعالى أودع فيه من أسرار التشريع، وأصول الأحكام، ما يجعله قادراً على تلبية حاجة كل عصر، مهما بلغ من التطور العلمي، والفكري، والمادي، والحضاري، لأن كل ذلك لا يخرج عن تعلق علم الله تعالى به أزلاً، قبل أن ينكشف لعلم الناس الظاهري، وعليه فهو مأخوذ في الاعتبار إبان التشريع الإلهي، ولهذا فإن شريعة الإسلام لا تقف عاجزة أبداً عن وضع حل لكل ما يستحدث في حياة الناس، طالما وجد أهل العلم الراسخون فيه يدركون مقاصد الشريعة، ويحسنون التوفيق بين المقاصد وحاجة العصر ومصالح الناس وهم من تعنيهم الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[60] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ

(60) سورة آل عمران، الآية: 7.

أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[61] وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[62] وقوله عز من قائل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[63]، وعلى ضوء هذا المنهج الذي يرسم خطوطه القرآن الكريم لتحقيق حياة أفضل للناس، يهيمن عليها الإسلام بتعاليمه السمحة يعلن رب العالمين سبحانه وتعالى للناس كافة، أن الإسلام هو الدين للجميع، لكماله وشموليته وخلوده، ولأنه من لدن رب الجميع سبحانه وتعالى، إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[64]، ويقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[65]، كما يقول جل وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[66]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[67].

4 ـ القرآن والعقل

ومن أصالة هذا المنهج في الدعوة إلى الله أنه يستخدم العقل وسيلة من وسائل الاهتداء إلى الحق والعدل والكف عن الظلم والاستقامة على الدين، وعليه فإنه يعتمد على مخاطبة العقل لأنه مناط التكليف، وميزان الأمور، والاعتبار، كما جاء في الآيات التي تدعونا إلى استعمال العقل والفكر والنظر والتدبر في عواقب الأمور وذلك بدراسة سير وأخلاق من مضى من الأمم للاستفادة بما جرى عليها من العقوبات وقد ضرب القرآن بتلك العقوبات

(61) سورة النساء، الآية: 83.
(62) سورة آل عمران، الآية: 18.
(63) سورة الأنبياء، الآية: 7.
(64) سورة آل عمران، الآية: 19.
(65) سورة المائدة، الآية: 3.
(66) سورة آل عمران، الآية: 85.
(67) سورة البقرة، الآية: 132.

الصارمة الأمثال التي أخذوا بها قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[68]، وقوله جل جلاله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[69]، ومعنى ذلك أن طاعة المنعم سبحانه وتعالى وشكره يديمان الأمن والنعمة، وأن المعصية تذهب بكل ذلك، وقوله في تصوير الصراع بين الخير والشر أو بين الرجل الذي أفسدته المادة، والرجل الذي أصلحه الإيمان قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾[70]، وتارة يختار أحداث القصة فيعرضها على أنها أسلوب من أساليب الدعوة، عندما يرى ذلك أوعظ للعقل، وهذا الأسلوب كثير في منهج القرآن والعبرة قائمة حاضرة لأولي الألباب، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[71] وقال جل جلاله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾[72]، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾[73]، وتارة يختار أسلوب الأمر كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[74]، وتارة يختار أسلوب التوبيخ والاستنكار كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾[75]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ

(68) سورة العنكبوت، الآية: 40.
(69) سورة النحل، الآية: 112.
(70) سورة الكهف، الآيات: 32 ـ 44.
(71) سورة الأعراف، الآية: 176.
(72) سورة النساء، الآية: 164.
(73) سورة الكهف، الآية: 13.
(74) سورة الأنعام، الآية: 11.
(75) سورة يوسف، الآية: 102.

وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[76] إلى غير ذلك من تلوين الأساليب المطابقة لمقتضيات الأحوال والموجهة إلى العقل لأخذ العبرة واستيعاب الدرس.

هذا المنهج يمكن للداعية أن يتبعه عند معالجته للقضايا المعاصرة، وفقاً للمعطيات الدينية أو الاجتماعية أو السياسية، إذ أصبحت حياة الناس في هذا العصر شديدة الاشتباه بحياة أولئك في المعصية والخروج عن تعاليم الإسلام وأخلاقه، ويذكرهم أن ذلك كله حصيلة ما يقترفون من المعاصي والآثام مخالفين بذلك تعاليم الدستور الإسلامي الذي فرض الله تعالى عليهم اتباعه والتقيد بأحكامه، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[77]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[78]، كما يمكن أن يعقد مقارنة بين ما يحصل اليوم من العقوبات الإلهية للمجتمع الإنساني من مثل التشرد والمجاعات والزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات عند قوم، وقلة المطر عند آخرين بما أصاب الأمم من قبل نتيجة مخالفتهم لأوامر الله كقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾[79]، وقوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾[80]، وقوله عز من قائل: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾[81]، فإن القرآن الكريم يقرر أن أسباب العقوبات هي المعاصي والذنوب، والعصر الحديث «عصر العلم» يعزو وقوعها إلى غضب الطبيعة والكوارث الطبيعية بحيث جردت تلك العقوبات في هذا العصر، مما تحمله من العبرة والخوف، من غضب الله وانتقامه، إذا لم يقلعوا عما هم فيه من الفساد والمجاهرة

(76) سورة الأنعام، الآية: 6.
(77) سورة البقرة، الآية: 208.
(78) سورة الحجرات، الآية: 13.
(79) سورة العنكبوت، الآية: 40.
(80) سورة الشمس، الآية: 14.
(81) سورة الرعد، الآية: 31.

بمعصيته، والمؤسف أنه حتى المسلمون صاروا يعتقدون ذلك الاعتقاد ولم يتذكروا أن هذه العقوبات نفسها هي التي عاقب الله بها من قبلهم من المذنبين ثم أخبرنا بها في القرآن الكريم لأخذ العبرة.

5 ـ القرآن الكريم والعدالة الاجتماعية:

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يوجه الدعوة إلى الناس كافة، لاحترام الإنسان وعدم المساس بأي حق من حقوقه، وحرياته المشروعة، والممنوحة له أصلاً من عند خالقه سبحانه وتعالى: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، كما دعاهم إلى التعاون بين تركيبات المجتمع الإنساني على إقامة العدل والمساواة وتحقيق الروابط الدينية والإنسانية فالناس من نفس واحدة وشرعهم واحد، هو الإسلام، وهم عيال لإله واحد سبحانه وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وعبر هذا المنهج القرآني الحكيم، تتعاضد النصوص القرآنية من أجل وضع أسس ثابتة لحياة عادلة بين جميع أفراد الجنس الإنساني، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[82]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾[83]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾[84]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[85].

وتلك هي العدالة الحقيقية بين أفراد المجتمع البشري الواحد، التي يدعو القرآن الكريم إلى التعاون على تحقيقها، وتطبيقها، والالتزام بها، من الخاصة

(82) سورة النحل، الآية: 90.
(83) سورة النساء، الآية: 58.
(84) سورة النساء، الآية: 135.
(85) سورة المائدة، الآية: 8.

والعامة، إذ ليس هناك خاصة ولا عامة، أمام شرع الله المنزه عن المحاباة والتحيز، غير أن إنسان العصر اليوم يزعم لنفسه حق التشريع وهو أن يشرع لنفسه بنفسه، ومعناه أن يحكم نفسه بنفسه، فاغتصب بذلك حق الله تعالى على عباده في التشريع لهم ظلماً وعدواناً، وقد جاء ما وضعه من القوانين والتشريعات لإصلاح الحياة وتنظيمها، وتحقيق العدل بين أفرادها قاصراً غير قادر على تحقيق تلك العدالة، وذلك لقصور الواضع، وجهله بمعرفة الكثير والكثير جداً من طبائع الناس، وظروفهم، فكان ما شرعه للعمل بمقتضاه مصدراً من مصادر الفوضى والظلم الاجتماعي عند التطبيق، وهو أمر لا يمكن أن تكون نتائجه إلا كذلك لأنه من صنع ناقص جاهل وهو الإنسان، واتضح بذلك كمال التشريع الإسلامي، لأنه من صنع كامل، عالم، حكيم، خبير، سبحانه وتعالى بما يصلح للجميع، ويحقق العدالة المنشودة للجميع كذلك.

6 ـ القرآن والتكافل بين الناس:

وإذ قد عرفنا تلك الكيفية التي اتخذها القرآن الكريم سبيلاً إلى الدعوة لتحقيق تلك القاعدة الاجتماعية العريضة لحياة الناس، ألا وهي العدالة الاجتماعية بمفهومها في شرع الله تعالى، وليس بمفهومها في القانون الوضعي، وعليه فإنه يجب أن نتعرف على طبيعة أسلوب الدعوة إلى التكافل الاجتماعي، بين الأفراد والجماعات، من خلال النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى، ابتداءً بفريضيتي الزكاة والمواريث ومروراً بالحقوق المترتبة على الكفارات وكذلك ما يحث عليه الإسلام ويرغب فيه من الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي وجوه الخير لصالح الإنسان، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[86]. وكما فرض الصلاة على أنها حق الله

(86) سورة التوبة، الآية: 60.

على عباده، فرض كذلك الزكاة على أنها حق الفقراء في أموال الأغنياء، لسد الحاجة، وتحقيق التكافل بين الناس، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝24 لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[87]، وقال سبحانه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾[88]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ﴾[89].

وأمر سبحانه وتعالى بتوزيع تركة الميت على كل من له حق فيها ذكراً كان أو أنثى غنياً كان أو فقيراً، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[90]. وهذه الوصية حكمها الوجوب كالزكاة في شرع الله تعالى بل إن هناك أمراً بهذا التكافل الإنساني صراحة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[91]، وهذه الطوائف من غير الورثة، بدليل: ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ أي فليقل الورثة ذلك لهؤلاء تطييباً لخواطرهم وتطميناً لهم بالتكافل ورعاية حاجاتهم.

ثم إن هناك حقوقاً كثيرة تحقق هذا التكافل الإنساني بشكل واسع، تضمنها القرآن الكريم في دعوته إلى هذه الرعاية الكريمة، لحاجات الناس وحقوقهم، تتعلق بأموال الكفارات، والديات، والغنائم، وغيرها، كل هذه الموارد المشروعة، يقدمها القرآن الكريم في عرض جميل، على أنها حقوق تكفل حاجة المعوزين من الناس في المجتمع، لا يحس فيه الآخذ في أخذها مهانة ولا أذى من قبل المعطي لأنها حق مشروع له، وهنا يتميز منهج القرآن الكريم وهو يقدم هذه المعطيات السخية التي تمد الإنسان بحاجاته المادية كما

(87) سورة المعارج، الآيتان: 24 و25.

(88) سورة التوبة، الآية: 103.

(89) سورة المزمل، الآية: 20.

(90) سورة النساء، الآيتان: 11 و12.

(91) سورة النساء، الآية: 8.

تربي فيه العزة والكرامة والحرية ومعاني الإنسانية، وهي المعاني التي لا توفرها مؤسسات الضمانات الاجتماعية، والتأمينات الحياتية التي زعموا في هذا العصر أنها بديل عن تلك المؤسسات الإسلامية المتقدمة الذكر، وذلك لما في قوانينها المنظمة من القصور والظلم الاجتماعي سواء في حالة الجمع للمال من الناس، أو في حالة توزيعه عليهم، وهي بالتالي لا تحقق للإنسان كرامته ولا حريته، في الحصول على حاجته، لأنه يأخذها وهو يحس بالمذلة والهوان، إذ هي في إحساسه مساعدة اجتماعية، قد أخذت له من غيره بقوة القانون والسلطة كذلك كرهاً، ثم إن ذلك المال أن لم يكن مالاً حراماً ففيه شبهات لا محالة، ناهيك عن التحكمات المفروضة من قبل القائمين على تلك المؤسسات، واستغلال حاجة الإنسان وظروفه السيئة في طريقة الصرف وزمانه، وكل ذلك فيه مهانة واستجداء.

7 ـ القرآن الكريم وبناء شخصية المسلم:

وهنا تتميز دعوة الإسلام عبر منهج كتابه، إلى تحرير الإنسان تحريراً كاملاً من تحكمات غيره «عبادة العبيد» في مقومات حياته، فكفل له تلك المقومات معنوية كانت أو مادية إذ من مجموعها تتشكل القدرة الإنسانية المتمثلة في الجسم والعقل والروح، وهي دعوة يوجهها القرآن إلى بناء الشخصية المتكاملة ليقتدر بها الإنسان نفسه على مزاولة مهامه على أنه خليفة الله في هذه الحياة من خلال ما شرع له تناوله من الماديات والروحيات، فدعاه إلى طلب العلم والمعرفة لتقوية العقل، والعقيدة والروح، وتنظيم السلوك، وأباح له من الماديات كل ما يسهم في بناء جسده بناء سليماً قوياً، وحذر بالمنع من كل ضار للصحة، أو للعقيدة، أو للسلوك، فحرم عليه تناول جميع المضرات لأي جهاز من أجهزة جسمه العقلية والبدنية فحمى العقل من المخدرات وما في حكمها، وحمى الجسد من كل ضار من مطعوم أو مشروب، ومن الإسراف والمبالغة فيهما، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ

مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿90﴾﴾[92]، حماية للعقل وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[93] حماية للجسد، وحرم الزنا لأنه يفسد الأجساد والأنساب والأخلاق وحرم التدخين بعدما ثبتت مضرته للصحة والمال.

ودعا القرآن الكريم الإنسان المسلم بصفة أخص إلى تحري الطيبات لأنها أكثر جلباً للصحة، وحرم عليه الخبائث لأنها أكثر جلباً للأمراض وفساد الأبدان بما أمر به الرسل عليه السلام، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾[94] وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[95].

ولم تقف دعوة القرآن الإنسان إلى هذا الحد وإنما تجاوزته إلى أن دعته إلى الاعتدال في كل شيء حتى في أكله وشربه، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[96]، ولدعم شخصية المسلم بعناصر القوة المعنوية دعاه القرآن إلى الاقتداء بالرجال الكمل وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[97] وذلك لكمالهم في الخلق والدين، قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[98]. والاقتداء بهم في شدة العزيمة وقوة الإيمان، والخلق والصبر والتحلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل، أمر مطلوب لبناء شخصية المسلم فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

كل هذه الأمور التي تضمنها القرآن الكريم عبر منهجه في الدعوة إلى

---

(92) سورة المائدة، الآية: 90.
(93) سورة المائدة، الآية: 3.
(94) سورة المؤمنون، الآية: 51.
(95) سورة البقرة، الآية: 172.
(96) سورة الأعراف، الآية: 31.
(97) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(98) سورة القصص، الآية: 26.

تقويم شخصية المسلم، وبنائها على أتم صورة إنما يعده لأمر مهم جداً ألا وهو حمل راية الدعوة إلى الإسلام انطلاقاً من قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ . . .﴾[99]، وقوله جلت حكمته: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[100]، ففي هذه الآية الكريمة وفي غيرها أيضاً يرسم القرآن منهج الدعوة للرسول الأعظم ﷺ، ولمن دعا بدعوته من بعده على النحو التالي: إن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحنيف خالصة له سبحانه لا حظ فيها لشخص الداعي، ولا لجنسه أو وطنه إذ ليس للداعي إلا أنه يؤدي واجباً لله عليه، وأن الدعوة بالحكمة تعني النظر وحسن التصرف والتقدير لأحوال الذين يدعوهم وظروفهم، ومدى استعدادهم النفسي ومستواهم الثقافي والعقلي.

وتعني كذلك الأسلوب الذي يتعامل به الداعية مع الناس، لنقل الأفكار والمبادئ التي يدعوهم إليها، وتعني بالتلوين لذلك الأسلوب أو الطريقة، وفقاً لمقتضيات أحوال المخاطبين، مبتعداً عن الحماسة والاندفاع الذي قد يفقد بسببه التصرف بالحكمة كما تدل على أن التذكي بالموعظة الحسنة أكثر نفوداً إلى القلب، وأكثر رفقاً بالنفوس، وأقوى على ائتلاف الأفكار والعقول النافرة والإقناع، من التهديد وأساليب العنف والتنفير، قال تعالى واصفاً رسوله ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[101] وأما الجدل فلا بد أن يكون بالتي هي أحسن فلا تحامل ولا تعصب أبداً، إذ التعصب قد يدفع على مثله ولا يجادل الواعية إلى الله للغلبة والظهور على من يخالفه الرأي، ولكن للإقناع والوصول إلى الحق، قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿45﴾﴾[102] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ

(99) سورة المائدة، الآية: 67.
(100) سورة النحل، الآية: 125.
(101) سورة آل عمران، الآية: 159.
(102) سورة ق، الآية: 45.

ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[103]، وهذا المنهج القويم للدعوة إلى الله ودينه الحنيف، الذي ينهجه القرآن هو سبيل هداية إلى نشر الإسلام وتبليغ تعاليمه، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[104]، وفي هذا النص تنوير لسبيل الدعاية وتسديد لمنطقه عندما يكون التبصر وحسن البيان واستصحاب الحجة عدته إلى نشر الدين بعيداً عن الملابسات شخصية أو جنسية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾[105] وهذا هو الأسلوب الحكيم ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[106] إنما تمثله الآية التالية في دعوة القرآن لأهل الكتاب إلى الدين الحق، والعقيدة الواحدة، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[107]، تلك هي الدعوة المنصفة والمتسمة بالحكمة فهي كلمة سواء يقف أمامها الجميع سواسية فلا يعلوا بعضهم بعضاً، ولا يتعبد بعضهم البعض الآخر والكلمة السواء هي دين الله الإسلام، بهذا الأسلوب الواضح والمنطق المتعقل البعيد عن التعصب أو الترفع، كان رسول الله ﷺ يرد على المتعصبين من المسيحيين الذين جاؤوا يحاجونه في تأليه عيسى عليه السلام، فحاول ردهم إلى الحق وهو أن عيسى إنما هو عبد الله ورسوله وروح منه كما يتجلى ذلك المنهج في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[108]،

---

(103) سورة الأنعام، الآية: 108.

(104) سورة يوسف، الآية: 108.

(105) سورة الأنعام، الآية: 159.

(106) سورة سبأ، الآية: 24.

(107) سورة آل عمران، الآية: 64.

(108) سورة العنكبوت، الآية: 45.

فالحسنى والحكمة في مجادلة هؤلاء هما الأساس للمنهج الذي يدعو إلى الإيمان الحق، الذي يجتمع عنده الجميع من غير تفريق بين الأجناس ولا الألوان، ولا العصور، إذ دعوة الأنبياء واحدة هي الإسلام، وموكبهم موكب واحد هو موكب الإيمان، وهو ما جاء به محمد ﷺ في أكمل صورة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾[109].

ولما كان الكون بجميع عوالمه كتاباً مفتوحاً للعقل، يتنقل فيه بالنظر والتأمل من أوسع أبواب الهداية إلى معرفة الحقيقة الكبرى «الإيمان»، وكان الإنسان وحده عالماً متكاملاً غريب الأطوار والتراكيب، فإن النظر والدراسة المتبصرة فيه تأخذ بالعقل للهداية إلى الله والإيمان به، فإن القرآن الكريم يضمن منهجه في الهداية الدعوة إلى إمعان النظر، الذي يهدي إلى تبين الحق جل جلاله بالإيمان الإيجابي، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[110]، فالآية تحمل وعداً من الحق سبحانه وتعالى للعقل الإنساني أنه سيطلعه على أشياء كثيرة من خفايا الكون، ومن خفايا النفس كذلك، وقد تحقق الكثير مما وعد الله تعالى بانكشافه ومعرفته، سواء كان على مستوى الكون أرضه وفضائه وكواكبه وطبائعها ونواميسها التي تحكمها مما قد توصل العقل إلى اكتشافه فعلاً، أو كان على مستوة ما اكتُشف في عالم الإنسان من أسرار تتعلق بالجسم ومادته أو بالعقل ومدركاته ووظائفه، فقد قطع الإنسان شوطاً كبيراً في عالم الاكتشافات وبشكل دقيق ومتسع فعلاً، ولا يزال أمامه الكثير الذي سيطلعه الله سبحانه وتعالى عليه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[111] ولقد صدقهم الله وعده فكشف لهم عن آياته في الآفاق وكشف لهم عن آياته في أنفسهم، وما يزال يكشف لهم في

(109) سورة الحج، الآية: 78.

(110) سورة فصلت، الآية: 53.

(111) سورة الرحمن، الآية: 33.

كل يوم عن جديد، وما هذه الأعداد الهائلة على مستوى العالم أجمع، وتلك الأفواج المتقاطرة من كل حدب وصوب نحو الإسلام لاعتناقه إلا دليل على أن الحق قد تبين لهم، وهذا هو الوعد، ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ . . . ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾(112).

الخاتمة

ختاماً لهذه الدراسة المتواضعة، فإني أجمل أهم ما جاء فيها من القضايا الدينية، أو الإنسانية، أو العلمية التي رأيت أنها من الأهمية بحيث يجب أن توجه إليها اهتمامات الدعاة والمصلين وجهودهم، لقد أصبح الإنسان في هذا العصر عبارة عن مصطلحات علمية، أو حسابية، وحوِّل بمقتضاها إلى ما يشبه الآلة تحركه الذاتية أو القومية والهوى، وأُهْمل جانب فيه وهو علاج القلب، الذي إذا صلح صلح كل شيء في الإنسان، وبصلاحه يصلح كل ما حوله، وهذا الجانب لا يصلحه العلم المادي، وإنما يصلحه الدين، كما يُعَرّفه الدين كذلك بمن خلقه، وكيف أوجده، ولماذا كان إنساناً سوياً، وما هي رسالته في الوجود، ثم إن حياة الإنسان لا تستقيم بدون شرع ينظمها، وليس كل شرع يكون صالحاً لتنظيمها، وهذا يقتضي أن يكون الشارع حكيماً خبيراً كامل الأهلية، ليكون شرعه كذلك، وهذا المطلب لا يتوفر إلا في شريعة الإسلام، التي هي من صنع الخالق لهذا الإنسان، فما دام سبحانه وتعالى هو الذي خلقه فهو أدرى بشؤونه وما يصلح لها ويصلحها، فكان الدين الإسلامي أصلح الأنظمة وأكملها لحياة البشر، والإنسان وجد ليكون خليفة، يعبد الله سبحانه وتعالى من خلال تلك الخلافة، وعليه؛ فلا بد أن يكون بين يديه دستور يدير بمواده وتشريعاته شؤون الخلافة فأمده الذي استخلفه وهو الله تعالى بذلك الدستور فكان القرآن الكريم،

(112) سورة النصر، الآيتان: 2 و3.

والإنسان عبد لمن يمتلك حاجته عادة، فعمل القرآن الكريم على تحرير حاجته من أيدي الناس بمقتضى قانون سماوي فتكفل له بكل ما يحتاج إليه لكن بحسن الطلب، والإنسان اجتماعي بغريزته وطبعه، وقدخلقه الله كذلك فهو يحتاج إلى العدل في تلك الحياة الاجتماعية، فكان الإسلام أهم مصدر لتوفير ذلك العدل الإلهي بين الناس، ولما كانت تلك القضايا السالفة الذكر بهذه الأهمية بالنسبة للإنسان في أي عصر «في رأينا» فقد أولاها القرآن الكريم اهتماماً خاصاً بالدراسة والتوضيح والتحقيق، من خلال منهج تبليغي إصلاحي شامل، ألقى أعباء القيام بالدعوة إليه سبحانه وتعالى إلى جماعات العلماء من المسلمين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[113]، وقوله جل جلاله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[114] وقول المصطفى ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، وقوله أيضاً: ربَّ مبلغ أوعى من سامع».

(113) سورة فصلت، الآية: 33.

(114) سورة يوسف، الآية: 108.